الأستاذ الدكتور:الياس مستاري

السنة الأولى ليسانس

المجموعة:ب/السداسي الثاني

المحاضرة السادسة: قضية اللفظ والمعنى عند نقاد المغرب العربي والأندلس.

لقد تناول نقاد المغرب العربي والأندلس قضية اللفظ والمعنى كغيرهم من النقاد المشارقة، وسنستعرض في هذه المحاضرة آراء كل من: ابن رشيق وابن شرف المغربيين، وابن عبد ربه وحازم القرطاجي الأندلسيين.

أولا: اللفظ والمعنى عند ابن رشيق (ت456 هـ)

تطرق ابن رشيق في كتابه العمدة إلى هذه القضية في باب اللفظ والمعنى، ويبدو من كلامه أنه لا يؤمن بالفصل التام بينهما، ويرى أن أي خلل في احدهما يؤثر في الآخر وذلك في قوله: " اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه، ويقوى بقوته فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنا له... وكذلك أن ضعف المعنى واختل بعضه كان اللفظ من ذلك أوفر حظ.. .. فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه".

ويرى إحسان عباس أن ابن رشيق قد أورد عبارة ابن طباطبا وبسطها على طريقة الحاتمي، ولكنه زاد على الحاتمي شيئا جديدا في تحليل الفكرة، فمرض اللفظ كالتشويه في الجسم، أما اختلال المعنى وهو الروح فإنه يبقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه.

وبعد أن بين ابن رشيق رأيه في القضية نراه يعرض بعض الآراء الأخرى مبينا انقسام النقاد في ذلك، فمنهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته ووكده ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته، ثم نراه يعيد ذكر الفئة التي تنتصر للفظ في قوله:" وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى، سمعت بعض الحذاق يقول: قال العلماء، اللفظ أغلى من المعنى ثمنا وأعظم قيمة وأعز مطلبا، فان المعاني موجودة في طباع الناس، يستوي فيها الجاهل والحاذق، ولكن العمل على جودة الألفاظ وحسن السبك وصحة التأليف".

وهذا يذكرنا بمقولة الجاحظ المعاني مطروحة في الطريق، إلا أن ابن رشيق يظل مشدودا إلى فكرة الائتلاف بين اللفظ والمعنى، إذ يسوق مجموعة من الآراء تؤيد ذلك.

ثانيا:ابن شرف القيرواني وقضية اللفظ والمعنى:

يعتبر ابن شرف من النقاد المعاصرين لابن رشيق وقد كانت له مجموعة من الآراء النقدية حول عدة قضايا، وقد أشار من خلال هذه الآراء إلى قضية اللفظ والمعنى، ووافق ابن رشيق في نظرته إلى ائتلاف اللفظ والمعنى،" فهو يشبه الألفاظ والمعاني تشبيها رائعا حتى صار مثلا يؤخذ وحكمة تحفظ "، وذلك من خلال حديثه عن هذه الثنائية، فهو يشبه المعاني بالأرواح والألفاظ بالأشباح، والتكامل بينهما قائم فهو يقول: "المعاني هي الأرواح والألفاظ هي الأشباح، فالتكامل بينهما قائم والتلاؤم بينهما حاصل فان غاب صنو منهما أصيب صنوه الآخر بالجفاف والخور".

وهذا الكلام يشترك في منابعة مع كلام ابن رشيق، فكلامهما يؤمن بائتلاف اللفظ والمعنى.

ثالثا:ابن عبد ربه وقضية اللفظ والمعنى:

أشار الناقد الأندلسي ابن عبد ربه إلى قضية اللفظ والمعنى في كتابه العقد الفريد، وقد تبنى آراء سابقيه من النقاد المشارقة والمغاربة من أمثال قدامة ابن جعفر وابن رشيق وابن شرف، وقد قرر أن" العلماء شبهت المعاني بالأرواح والألفاظ بالأجساد واللباب، ولا بد من المعنى الجزل واللفظ الحسن ليتم للكلام رونقه وبهاؤه، وهو ينصح بأن يوضع المعنى مع شقائقه وقرنائه، وهو يميل إلى ما كان وليد الطبع دون التكلف، وما صدر عن السهولة دون التعقيد". وهكذا فقد كان ابن عبد ربه جامعا لأقوال النقاد المشارقة والمغاربة متأثرا بهم.

رابعا:حازم القرطاجي وقضية اللفظ والمعنى:

من خلال تأليفه لمنهاج البلغاء وسراج الأدباء يتضح أن جازما بناه على هذه الثنائية، فالكتاب موزع على أربعة أقسام، القسم الأول مفقود وهو يبحث في الألفاظ أما الأقسام الثلاثة المتبقية فهي تبحث في المعاني والمباني والأسلوب، غير أن المعاني التي يشير إليها حازم ليست " التي تعرف بها أحوال اللفظ العربي، وإنما المراد بها لديه البحث في حقائق المعاني ذاتها وأحوالها، وطرق استحضارها، وانتظامها في الذهن، وأساليب عرضها، وصور التعبير عنها ".

ويشير حازم إلى وجود المعاني من جهتين الجهة الأولى وجودها في الأذهان على شكل صور ذهنية مجردة، أما الجهة الثانية وجودها في قوالب لفظية تدل على تلك الصور الذهنية المذكورة سابقا، وعليه تتقمص المدلولات جسم الألفاظ، وهذا ما يمكن قراءته من قول حازم في المنهاج "أن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن، فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم فصار للمعنى وجود آخر من جهة الألفاظ ".

فعند توفر إدراك الشيء للذهن تكون محصلة الإدراك صورة ذهنية لما أدرك من هذا الشيء، ولا شك أن صورة الشيء الذهنية التي يكون للفظ القدرة على رسمها عند التعبير ستتشكل طبيعتها بحسب صورة اللفظ، التي تنتقل من النفس إلى تشكيل الخطاب، وتصبح الألفاظ بمثابة الوعاء التي تصب فيه المعاني.